جامعة إفريقيا العالمية

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

الشيخ عثمان بن فودي

(دان فوديو)

بحوث الندوة العالمية التي عقدتها الجامعة بالتعاون مع المنظمة احتفاءً بذكراه

الخرطوم : ٢٦ - ٢٨ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ / ١٩ - ٢١ نوفمبر ١٩٩٥م

تحرير

الأستاذ/ عمر أحمد سعيد الأستاذ/ عبد القيوم عبد الحليم الحسن

إصدار جامعة إفريقيا العالمية ومنظمة الإيسيسكو ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

زخرت البلاد الإفريقية بالعديد من العلماء والمفكرين والمجاهدين الذين ساهموا مساهمة بينةً فى التراث الإسلامى ، وكان لهم أثرهم الواضح فى الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية فى مجتمعاتهم . غير أنّ معظم التراث الذى خلفوه – إن لم يكن كله – ظلّ مغموراً نتيجة للغزو الفكرى ، والثقافة الوافدة التى لم تكتف بتجاهله ، بل حاولت جاهدة طمسه ومسخه وتشويهه ، مما أدى لأن يكون صانعو هذا التراث ، مجهولين فى معظم البلاد الإسلامية . ولما كان من أهداف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وجامعة إفريقيا العالمية ، بعث هذا التراث وإحياؤه والتعريف برجاله ، فقد اشتمل برنامج التعاون بينهما على إقامة ندوة لتكريم العالم المجاهد الشيخ عثمان دان فوديو ، مؤسس خلافة صكتو الإسلامية فى بلاد الهوسا . والشيخ عثمان دان فوديو قمين بأن يُحتفى به ، فهو من المجددين الذين نشروا تعاليم الدين وجاهدوا لإحيائها وتطبيقها . ويكفيه أنه فى عصر الجمود والتخلف ، أسس خلافةً أساسها الشرع الحنيف وأثرى المكتبة العربية الإسلامية بما يربو على مائة مؤلف .

أقيمت هذه الندوة فى الخرطوم فى نوفمبر ١٩٩٥م ، واشترك فى تقديم أوراقها ثلاثة وعشرون عالماً ومفكراً وباحثاً من داخل السودان وخارجه ، ولقد كان لها صدى واسع فى أوساط العلماء والباحثين وفى أوساط المجموعات ذات الأصول النيجيرية المقيمة فى السودان ، فقد تجاوبت معه بإقامة معرض حوى مخطوطات وآثار للشيخ دان فوديو تعرض لأول مرة . وتعتبر هذه الندوة من أكبر الندوات التى أقيمت عن الشيخ دان فوديو إن لم تكن أكبرها على الإطلاق ، وهى بلا جدال أول ندوة عنه تقدم جل أوراقها وتجرى مداولاتها باللغة العربية .

ويسر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وجامعة إفريقيا العالمية أن تقدما هذا السفر الذى يتضمن الأوراق والبحوث التى قدمت فيها ، تعميماً للفائدة .

وتتقدم المنظمة والجامعة للذين اشتركوا فيها ببحوثهم وساهموا فى مداولاتها بالشكر الجزيل على مشاركتهم الحيوية التى كانت العامل الأساسى فى نجاحها ، وتؤكد المنظمة والجامعة عزمهما على المضى قدماً فى التعاون بينهما فى هذا المجال الحيوى الهام بغية إحياء الثقافة الإسلامية سمتاً وجوهراً ، مظهراً ومخبراً .

وبالله التوفيق ،،،

الدكتور/ عبد العزيز بن عثمان التويجرى
المدير العام للمنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة

البروفسير/ عبد الرحيم على محمد
مدير جامعة إفريقيا العالمية
الخرطوم - جمهورية السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

ركزت هيئة التحرير اهتمامها منذ البداية لإخراج هذا الكتاب بصورة تليق وعظم موضوعه ، ومن ثمَّ رسمت الهيئة خطة متكاملة للتحرير ، تم بحمد الله تنفيذها بنجاح تام رغم الصعوبات التى واجهتها .

وكان من أولى الصعوبات ، التأكد من صحة البحوث بعد مراجعتها من الباحثين ، بعد تضمينها ملاحظات المعقبين والنقاد ، الأمر الذى جعل الهيئة ترجع للأشرطة المسجلة للندوة .

ثم صعوبة كتابة الأسماء المألوفة ، مع تعدد اختلاف الباحثين فى طريقة كتابتها بالحرفين العربى والإنجليزى . وقد كان لإلمام المحررين بهذا المجال دور كبير فى تخطى العقبات ، وقد رُئِيَ أن تكتب هذه الأسماء بالطريقة التى رسمها الباحث شريطة الاّ يخل ذلك بالصوت المألوف للكلمة وذلك لعدم وجود طريقة رسم موحدة أصلاً . فكلمة صكتو مثلاً قد تكتب صُوَكوتو ، صَكّة ، سكوتو ، سكتو ، وقد تكتب بالانجليزية Sokoto و Swakkata وغير ذلك . كما أن كلمة فودى قد تكتب بالعربية فودىْ وفودْيُو وبالانجليزية Fudi ، و Fodio و Fodoye و Foduye و Fodiye وغير ذلك . ولا يعدو الأمر فى مجمله أن يكون اختلافاً فى طرق الرسم الإملائى للأصوات الأعجمية بالحرف العربى . وما أكثر أسماء الأعلام والمواقع فى بحوث هذه الندوة ، ثم ما اضطرت إليه هيئة التحرير من معالجة بعض الأوراق المطولة باختصارها ، إضافة لعملها التحريرى فى أوراق أخرى تجنباً للتكرار ، وذلك بغرض إخراج الكتاب متوازناً . وقد تمّ ذلك بموافقة الباحثين ، وروعى فيه اتساق الموضوع وتماسكه .

أمّا فى تبويب الكتاب ، فقد تم ترتيب المحاور وفقاً للتسلسل التاريخى والموضوعى لحياة الشيخ ، بينما رتبت البحوث داخل كل محور وفقاً للترتيب الألفبائى لعناوينها متبوعة بالأبحاث المقدمة باللغة الانجليزية . ثم ذُيّل الكتاب بملاحق شملت التقرير الختامى والتوصيات ، إضافةً إلى كشّاف عام للبحوث جاءت بعده وقائع الندوة مصورةً .

ونظراً لما فى عمل التحرير من مشقة المتابعة والمراجعة المتواصلة لضمان سلامة النص ، وخروجه خالياً من الأخطاء ، فقد كان لتكثيف الجهود خلال فترة التحرير ، أثر كبير فى إخراج هذا السفر على هذا النسق ، وفى زمن قياسى ، ومن ثم نأمل أن يعذرنا القارىء الكريم لما قد يبدر من بعض الهنات .

وأخيراً لا يفوتنا أن نسجل شكرنا للأساتذة : حسن سيد أحمد الناطق ، وتاج السر بشير ، وعباس أبو نائب ، على القيام بعملية المراجعة وتصحيح الأخطاء اللغوية وغيرها طوال فترة التحرير .

كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساهم فى إخراج هذا الكتاب ، ونخص بالشكر الأستاذين : محمد عثمان أحمد إسماعيل ، ومهدى ساتى صالح لتعاونهما المستمر فى سبيل إخراج هذا الكتاب .

وختاماً فان الأمل معقود على أن يكون إخراج هذا الكتاب فى شموخ ومكانة المحتفى به ، ومرضياً لطموح المنظمة والجامعة .

والله الموفق

المحرران

الآثار العقائدية لحركة الشيخ عثمان بن فودى في سودان وادى النيل

د. الأمين أبو منقا محمد *

إن المساحة الجغرافية الواقعة بين مدينة سكتو (شمال نيجيريا) ونهر النيل تمثل منطقة تجانس عقدى لا مثيل له فى القارة الإفريقية (المذهب المالكى ، الفكرى المهدىّ ، الطرق الصوفية ، نظام الخلاوى ، قراءة القرآن بروايتى ورش والدورى .. الخ) . وإن لكلمة "الشرق" (بالهوسا gabas – أى القبس الذى يصاحب شروق الشمس) مدلولاً روحياً خاصاً لدى مسلمى بلاد السودان الغربى باعتبار أنه اتجاه مهبط الوحى ، والحرمين الشريفين ، وقبر الرسول (ص) ، وموقع ظهور المهدى المنتظر . فإذا اعتبرنا الحيز الكبير الذى احتلته مسألة المهدى والمهدية فى فكر الشيخ عثمان بن فودى ومدى انشغال جماعته بعده بهذه المسألة من جانب ، وظهور المهدى (فى شخص محمد أحمد بن عبد الله – للمقتنعين به) على النيل من جانب آخر ، لتبين لنا إلى أى حد كان سودان وادى النيل يمثل منطقة تكامل عقدى مع الخلافة السكتية .

فالأحداث التى شهدتها المنطقتان منذ القرون الأولى لدخول الإسلام ، من تنقل للعلماء والطلبة[1] ، ومريدى الطرق الصوفية ، وهجرات من بلاد السودان الغربى للبحث عن المهدى فى بلاد السودان الشرقى ، ثم الوقوف بجانبه ومناصرته ... الخ ، كلها ليست أحداثاً للتسجيل فى أضابير التاريخ فحسب ، بل أدت لخلق واقع دائم متجدد حسب الظروف والأزمان ، سواء كان ذلك فى شكل استقرار دائم لجماعة الشيخ عثمان وأحفاده فى سودان وادى النيل وانصهارهم فى المجتمع السودانى ، أو فى شكل الصلات العقائدية المتينة المتجددة التى ما زالت – وستظل – تربط بين المنطقتين ، كالوشائج القائمة اليوم بين بيتى الإمام المهدى والشيخ حياتو بن سعيد (حفيد الشيخ عثمان ، عامل المهدى لغرب إفريقيا) أو بين مريدى الطريقة السمانية فى السودان (آل الشيخ قريب الله) ومريدى الطريقة القادرية فى نيجيريا (آل الشيخ

---

* معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية – جامعة الخرطوم .

ناصر كبرا) ، علماً بأن القادرية هى طريقة الشيخ عثمان وجماعته وتمثل إحدى الدعامات الروحية لحركته .

نهدف فى هذه الورقة إلى إبراز القواسم المشتركة فكرياً وعقائدياً بين بلاد السودان الغربى وسودان وادى النيل ، والتى جعلت من سودان وادى النيل منطقة تكامل فكرى وعقدى مع الدولة الإسلامية التى أسسها الشيخ عثمان بن فودى فى بلاد هوسا فى مطلع القرن الماضى ، حتى نؤكد أن آثار الشيخ عثمان فى سودان وادى النيل لم تأت من الغربة بل انتقلت من ركن إلى آخر داخل البيت الواحد . وسينصب تركيزنا على الفكر المهدىّ والصوفى .

١ - التجانس الفكرى والعقدى بين سودان وادى النيل وبلاد هوسا :

إذا جاز لنا أن نرسم خريطة لمنطقة انتشار الثقافة الإسلامية ذات الطابع الإفريقى فسوف يبدأ الخط من سيرينايكا فى شمال شرقى ليبيا ويتجه غرباً فى محازاة البحر الأبيض المتوسط حتى المحيط الأطلسى ثم يعرج جنوباً عبر موريتانيا والسنغال حتى غينيا ثم شرقاً فى محازاة للحدود الجنوبية لجمهوريتى مالى وفولتا العليا (بوركينا فاسو) وشمال نيجيريا وتشاد ثم عبر دارفور وكردفان إلى سنار ثم ينعرج شمالاً عبر سهول البطانة وصحراء النوبة وصعيد مصر ثم يميل قليلاً جهة الشمال الغربى حتى يصل نقطة البداية فى سيرينايكا (انظر الخريطة المرفقة) .

لقد شهدت هذه المنطقة قيام كل الممالك الإسلامية فى إفريقيا : دولة التكرور ، ودولة المرابطين ، ومملكة غانا ، ومملكة مالى ، وامبراطورية سنغاى ، ومملكة آهير ، والخلافة السكتية ، ومملكة كانم برنو ، ومملكة باقرمى ، ومملكة وداى ، وسلطنة الفور ، والسلطنة الزرقاء (سنار) .[٢] وكذلك ازدهرت فيها كل مراكز الإشعاع الفكرى الإسلامى (باستثناء الأزهر) : تلمسان ، وفاس ، والقرويين ، والقيروان ، وتمبكتو ، وجنى ، وقاو ، وسيغو ، وكاتسينا ، وكنو ، وقزرقمو ، (كانم برنو) ، واغاديز (آهير) ، وسنار . وفوق هذا وذاك ، فهى أوسع منطقة لانتشار وسيادة المذهب المالكى ، وفيها تبلورت أدبياته تأليفاً وشرحاً وتطبيقاً . أضف إلى ذلك ازدهارها بالخلاوى القرآنية (المسيد) التى تستخدم فيها الألواح الخشبية للكتابة وتضاء ليلاً بحطب الحريق (التقابة) ، يكتب فيها القرآن بالخط المغربى ويقرأ بروايتى ورش والدورى .

لعل ما أود توضيحه فى هذا الموضع هو أن شمال إفريقيا ، وبالتحديد بلاد المغرب ، يمثل أهم مورد للثقافة العربية الإسلامية لكل من سودان وادى النيل وبلاد هوسا . هذا بالرغم من أن بعض المؤرخين لسودان وادى النيل يضعون هذه البلاد (أى بلاد المغرب) فى المرتبة الثالثة بعد الحجاز ومصر ، حيث يذكر يوسف فضل حسن أن المؤثرات الإسلامية قد تدفقت إلى السودان من طرق رئيسية ثلاثة :

" أولها وأهمها من مصر عن طريق وادى النيل أو الصحراء الشرقية ، وثانيها من الحجاز عبر البحر الأحمر عن طريق باضع وعيذاب وسواكن ، وثالثها من المغرب عبر أواسط إفريقيا ".(٣)

لا أحد ينكر أن الإسلام قد وجد طريقه إلى سودان وادى النيل من الحجاز ومصر مع الهجرات العربية إلا أن هؤلاء المهاجرين من العرب فى الحقيقة لم يحملوا معهم سوى الثقافة العربية والإسلام فى مراحله الأولية ، إذ أنه فى ذلك الحين لم تتبلور بعد الثقافة الإسلامية بعلومها وآدابها المختلفة من تفسير للقرآن وجمع للحديث وتطور للمدارس الفقهية (أى المذاهب) ودراسة فى علوم التوحيد وغيرها .

فالرافد الحجازى جاء لنا بالأعلام فى بواكير الدعوة الإسلامية فى السودان مثل غلام الله بن عائد اليمنى (النصف الثانى من القرن الرابع عشر) وتاج الدين البهارى (منتصف القرن السادس عشر) . فبينما عمر الأول المساجد وقرأ القرآن وعلم العلوم(٤) ، نجد أن الثانى (أى تاج الدين البهارى) جاء بذلك النوع من التصوف القائم على علم الباطن ، والذى جاز فى فكره الجمع بين الأختين والتزوج بأكثر من أربع(٥) ورفع الصلاة عن الأقطاب وممارسات كثيرة أخرى تتعارض مع ظاهر الشريعة . وقد احتل هذا النوع من التصوف مكان الصدارة أيام السلطنة الزرقاء وتغلب أهله على علماء الظاهر .(٦) حقيقة لا أعرف فيما إذا كان مثل هذا المنحى يصنف فى باب النهوض بالعلم والمعرفة أو يعتبر تكريساً للجهل ، وإن كان رأى د. حسن مكى فيه واضحاً ، إذ فى رأيه أنه متى ما ارتبط الناس بهذا النوع من التصوف "ضعفت ملكاتهم العقلية ، نتيجة لضغط هذه الثقافة التى تشيع الجهل والتبلد والانهيار الدينى" .(٧)

أما الرافد المصرى فقد أسهم فى تعليم بعض الأعلام السودانيين الذين كانوا من أوائل من قاموا بنشر التعاليم الإسلامية الصحيحة من أمثال محمود العركى وإبراهيم البولاد بن جابر . وقد تتلمذ هؤلاء على علماء المذهب المالكى فى الأزهر الشريف ، وقد أدخل الأخير اثنتين من أمهات كتب الفقه المالكى : رسالة ابن أبى زيد القيروانى ومختصر خليل . (٨) ولا شك أن لصعيد مصر وسيادة المذهب المالكى فيه ولكبار علمائه من أمثال جلال الدين السيوطى إسهاماً مقدراً فى دفع عجلة الثقافة الإسلامية فى سودان وادى النيل .

أما المغرب العربى ففى تقديرى يعتبر أهم روافد الثقافة الإسلامية للسودان . وقد أهله لذلك ارتباطه بالأندلس - حاضرة الإسلام فى ذلك الوقت - وبمراكز الإشعاع الفكرى عبر الصحراء (تمبكتو وجنى والممالك الإسلامية التى ازدهرت فى بلاد السودان الغربى فيما بعد) ، كل ذلك أهله ليقوم بهذا الدور . فإلى تلك الجهة (أى بلاد المغرب) ترجع أسماء معظم الأعلام الذين سطعوا فى سماء العلم والفكر فى السودان ، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

فمن هناك جاء الشريف أحمد أبو دنانة (القرن الخامس عشر) ، صهر الشيخ أبى عبد الله محمد بن سليمان الجزولى ، مؤسس الطريقة الشاذلية بالمغرب . وصل هذا الشيخ إلى السودان فى وقت كان يعانى فيه سكانه من فراغ روحى فى أخريات أيام مملكة علوة المسيحية ، فساهم - كما فعل غلام الله بن عائد - فى إرساء دعائم الدعوة الإسلامية فى مرحلتها الأولى .

وفى القرن التالى قدم التلمسانى المغربى على الشيخ محمد ولد عيسى سوار الذهب ، ومنه أخذ الأخير علم الكلام وعلوم القرآن .(٩) ويذكر صاحب الطبقات أسماء أخرى مثل عيسى ولد كنو (لم يوضح فيما إذا كان له علاقة بكنو فى نيجيريا) الذى كان يدرس "متن الخرازى" - أرجوزة فى رسم القرآن ، "متن الجرزية" منظومة فى التجويد .(١٠) وكذلك يذكر أن المضوى محمد بن محمد اكداوى قام بشرح كل من "متن السنوسية" و "الجزرية" - وما لم يثبت العكس فان لقب اكداوى ربما يشير إلى مدينة أكدال الحالية فى المغرب . ومن تلك الناحية أيضاً جاء الحاج موسى جد حسن ود حسونة .

ومن الذين ارتبطت أسماؤهم ببلاد المغرب بطريق غير مباشر السيدان محمد على السنوسى ومحمد عثمان الميرغنى . فهذان تلميذان للشيخ أحمد ابن إدريس الذى ينتمى إلى أشراف المغرب الذين أثروا الحركة الفكرية والعلمية فى العالم الإسلامى .(١١) وكذلك تشير كتابات الشيخ الطيب أحمد البشير إلى تأثره بالنهج المغربى الأندلسى فى التأليف متمثلاً فى استخدامه لفن النظم (له منظومة على المنازل القمرية) ، ويبدو أنه متأثر بأفكار ابن العربى وبالأخص فيما يتعلق بالفكر المهدى . فمؤلفاته تسير على النمط المغربى-الأندلسى من حيث الشكل (منظومات) والمحتوى (علم الفلك والمهدية) . وكان هذا النمط شائعاً لحد كبير فى بلاد السودان الغربى .

وإذا اعتبرنا أن بلاد السودان الغربى تمثل بعداً جغرافياً هاماً لبلاد المغرب فتجدر الإشارة إلى بعض الشخصيات السودانية الهامة فى الساحة الفكرية والتى ورد فى تراجمها ما يشير إلى تلك المنطقة (أى بلاد السودان الغربى) ، فقد سلك الشيخ خوجلى طريق القوم على يد الشيخ أحمد التمبكتاوى الفلانى بالحرم المدنى ، (١٢) "مما يكشف عن أثر غرب إفريقيا على الحركة العلمية فى السودان" .(١٣) وقيل إن عدد طلبة أرباب العقائد (ت ١٦٩١) بلغ ألفاً ونيفاً من دار الفنج إلى دار برنو(١٤) . ويذكر صاحب الطبقات أن خلاوى الشيخ القدال تضم حوالى ألفى طالب ، ١٧٠٠ منهم من التكارير (بلاد السودان الأوسط ، والغربى" .(١٥)

فكل ما تقدم يوضح أن مساهمة بلاد المغرب - وعمقها الجغرافى المتمثل فى بلاد السودان الغربى - فى إرساء دعائم الثقافة الإسلامية فى سودان وادى النيل أكبر بكثير مما صوره لها المؤرخون حتى الآن .

أما بالنسبة لبلاد هوسا فهى أيضاً ، كسودان وادى النيل ، استمدت الثقافة الإسلامية من الروافد الثلاثة المذكورة آنفاً (أى الحجاز ومصر وبلاد المغرب) ولكن بصورة مختلفة نوعاً ما ، وبالأخص فيما يتعلق بالحجاز ومصر . فلم يدون لنا تاريخ تلك المنطقة قدوم أى عالم أو داعية من الحجاز إليها . فالمؤثرات الحجازية أو المشرقية بصورة عامة كانت إما عبر مؤلفات علمائها كعبد الوهاب الشعرانى وأبى الحسن العراقى ، أو عن طريق إقامة علماء بلاد السودان الغربى فى المدنية المنورة لعدة سنوات لتلقى العلم بها ثم العودة إلى بلادهم ونشر ما تعلموه وسط

طلابهم . ومن هؤلاء ، على سبيل المثال ، الشيخ جبريل بن عمر ، أستاذ كل من الشيخ عثمان وأخيه عبد الله . ومنهم كذلك العالم محمد سمبو (خال الشيخ عثمان) ، والحاج عمر الفوتى وآخرون .

وهناك أيضاً بعض من علماء بلاد السودان الغربى تلقوا العلم فى الأزهر الشريف ، مثل الفقيه العاقب بن عبد الله الانصمنى الذى أخذ العلم من جلال الدين السيوطى .(١٦) وقد اورد بالمر Palmer أن الشيخ عثمان بن فودى قد ذكر فى إحدى كتاباته أن جلال الدين السيوطى كان يراسل السلطان ابراهيم فى كاتسينا(١٧) (شمال نيجيريا الحالية) ، بل قيل إنه قد زار بلاد هوسا .

أما الرافد الرئيسى للثقافة الإسلامية فى بلاد هوسا فهو شمال إفريقيا ، وبالأخص بلاد المغرب ، إما بصورة مباشرة أو عن طريق مراكز الإشعاع الإسلامى عبر الصحراء . فقد كانت لبلاد هوسا صلات تجارية مع شمال إفريقيا قبل دخول الإسلام إليها . لقد عرفت هذه البلاد نوعاً من التوحيد وقدراً يسيراً من الإسلام منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى إلا أن أول مجموعة من الدعاة المسلمين وردت فى سجل تاريخ هذه المنطقة هى مجموعة الونقريين ، وهم قوم من الماندينكا كانوا يجمعون بين التجارة والدعوة . وصل هؤلاء إلى كنو فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى .(١٨) وبعد قرن من هذا التاريخ وصلت مجموعة من الفولانيين من ملى (مملكة مالى القديمة) حاملين معهم كتباً فى التوحيد وأصول الدين .(١٩) فكلتا المجموعتين تعتبران امتداداً لحركة المد الإسلامى الذى بدأ من شمال إفريقيا . وبعد عدة سنوات من ذلك التاريخ بدأت الأفواج العربية فى التدفق إلى تلك المنطقة ، ومن بين هؤلاء العالم المغربى الشهير محمد بن عبد الكريم المغيلى التلمسانى (ت ١٥٠٤) الذى وصل إلى كنو فى عهد الملك محمد رنفا (١٤٦٣ - ١٤٩٩) على رأس نخبة من العلماء بعد توقف قصير بمملكة كاتسينا . وقد كان لهذا العالم وجماعته القدح المعلى فى دفع عجلة الإسلام فى تلك المنطقة . وقد أورد كتاب حوليات كنو فى شأنه ما يلى :

"أحضر عدداً من الكتب وأمر محمد رنفا ببناء مسجد لصلاة الجمعة ويقطع الشجرة المقدسة وبناء مئذنة فى مكانها . وعندما تأسس الإسلام وتعدد الفقهاء وانتشر الدين فى هذه البلاد وما جاورها قفل عائداً إلى مصر(٢٠) تاركاً وراءه سيدى فرى لكى ينوب عنه" . (٢١)

للعلماء الذين اقتفوا أثر المغيلى إلى بلاد هوسا خلال العقد الأخير من القرن الخامس عشر الفضل فى نشأة الحركة العلمية فى تلك البلاد . فمع بداية القرن السادس عشر الميلادى بدأت دوائر صغيرة للعلماء المحليين فى النمو والازدهار وأضحت فيما بعد محط رحال للعلماء القادمين من الأقاليم الإسلامية الأخرى ، وبالأخص شمال إفريقيا . وهؤلاء فى الحقيقة يمثلون الجذوة التى اندلعت منها حركة العلم والفكر باللغة العربية فى بلاد هوسا ، والتى استمرت فى النمو والتطور إلى أن انتهت بالثورة العلمية التى سبقت وصاحبت قيام الخلافة السكتية فى العقد الأول من القرن التاسع عشر .

كل مؤلفات مشاهير العلماء الذين تألقوا فى بلاد هوسا منذ القرن السابع عشر حتى قيام حركة الشيخ عثمان بن فودى تشير إلى الأثر المغربى (الاندلسى) من حيث الشكل والمضمون . فمن هؤلاء العلماء عبد الله سكه (أو ثقة) الكنوى (القرن السابع عشر) الذى ألف منظومة بعنوان "العطية للمعطى" بين فيها الأوجه المختلفة للعبادات . وتعتبر هذه المنظومة بداية للتأليف المحلى بالنظم ومثالاً انتشر على شاكلته هذا الفن فى كل المناطق . (٢٢) ومنهم العالم الكتسناوى دان مارينا ، أى ابن الصياغ (ت ١٦٥٥) ، الذى قام لأول مرة بشرح وتحليل القصيدة العشرينية للفزارى فى مؤلف له بعنوان "الوسائل المتقبلة" . ومن أعماله التى اشتهر بها أيضاً كتابه "مزجرة الصبيان" . الذى بين فيه فروع العلم والمعرفة التى تناولها وتذوقها علماء عصره فى بلاده ، وهى الشريعة ، والتوحيد ، والحديث ، والنحو ، والصرف ، وفقه اللغة وعلم المنطق ، وعلم الدلالة ، وعلم الحساب ، وعلم الفلك ، وفنون التلاوة ، وعلم العروض والقوافى ، والفلسفة . وكذلك من مشاهير علماء كاتسينا الشيخ دان مسنا ، أى ابن العلماء . ويذكر صاحب إنفاق الميسور بان لدان مسنا تواليف تدل على وفرة علمه ، منها "النفحة العنبرية فى شرح العشرينية" ، و "بزوغ الشمسية فى شرح العشماوية" .(٢٣) ومنهم الشيخ على جب صاحب "الشرح على الكبرى" و "الشرح على لامية الافعال" ، وقد أخذ عنه الشيخ جبريل بن عمر والذى أخذ عنه كل من الشيخ عثمان بن فودى وأخيه عبد الله .(٢٤)

وهكذا استمرت الحركة العلمية فى بلاد هوسا فى التطور والازدهار حتى جاء عهد الفوديين فى نهاية القرن الثامن عشر ، حيث اتسمت هذه الفترة بتعدد العلماء وشمولية مصادر العلم مع غزارته . وقد ذكر الشيخ عبد الله فى كتابه "إيداع النسوخ من أخذت من

الشيوخ" سبعة عشر شيخاً أخذ عنهم العلم داخل وخارج بلاد هوسا ، كل حسب تخصصه . وفى خاتمة الكتاب يقول : "الشيوخ الذين أخذت العلم عنهم لا أحصيهم الآن ولكن هؤلاء مشاهيرهم" . فمن أخيه عثمان فقط أخذ العشرينيات ، والوتريات ، والشعراء الستة ، وعلم التوحيد ، والإعراب ، وعلم التصوف ، والفقه (الأخضرية والعشماوية ورسالة ابن أبى زيد القيروانى وغيرها) ، والتفسير ، وعلم الحديث ، وعلم الحساب ، هذا بالإضافة إلى تواليفه (أى الشيخ عثمان) الشخصية . ولعل هذا ما كان يعنيه يوسف فضل حسن عند مقارنته لموقف الحركة العلمية فى بلاد السودان الغربى وسودان وادى النيل حين قال :

"... بل إن إنتاج السودانيين رغم ما سردت من أمثلة للشروح والحواشى التى صنفوها قليل وتعوزه الدقة والأصالة – إلا النذر اليسير – إذا ما قورن بإنتاج علماء بلاد السودان الغربى الذى ربما كان فى مرحلة تطورية لا تختلف كثيراً عما كان عليه الحال فى السودان الشرقى" .(٢٥)

لقد قصدت بكل ما تقدم أن أشير إلى الدور الهام الذى لعبته بلاد المغرب – وبالأخص تلمسان – فى إرساء قواعد العلوم الإسلامية فى كلٍّ من بلاد هوسا وسودان وادى النيل ، وإلى أن أمهات كتب الفقه المالكى مثل رسالة ابن أبى زيد القيروانى ، ومختصر خليل ابن اسحاق ومؤلفات جلال الدين السيوطى والونشريسى والنفراوى والخرشى والأجهورى ... الخ كانت تمثل القاعدة التى استندت عليها وتطورت منها الحركة العلمية فى كلا المنطقتين . والاختلاف فقط يتمثل فى سيادة التصوف الباطنى فى سودان مملكة الفونج كإفراز طبيعى للأثر الحجازى ، وعدم شيوع مثل هذا التصوف بذلك القدر فى بلاد هوسا . على أى حال شاءت الأقدار أن تقوم الحركة الوهابية فى أخريات القرن الثامن عشر لتحارب هذا النوع من التصوف (والتصوف بصورة عامة) ، مما يعنى انقطاع حبل الوصل بين سودان وادى النيل والحجاز فى هذا المجال ، ومن ثم يصبح سودان وادى النيل أكثر انتماء إلى الخريطة العقائدية التى رسمناها فى مقدمة هذا الباب وأوثق ارتباطاً بها . ولعل من أهم معالم هذه الخريطة ما يتعلق بالفكر المهدىّ بصفة عامة والحركة المهدية التى قامت فى سودان وادى النيل بصفة خاصة .

٢ - الفكر المهدىّ والخلافة السكتية :

سيقتصر هذا الباب على استعراض آراء علماء الخلافة السكتية - على رأسهم المجاهد الشيخ عثمان بن فودى - حول المهدى والمهدية وتبيان غزارة ما كتب فى أدبيات الفكر المهدىّ فى ذلك العهد ومدى إلمام العامة بهذا الفكر ، وانعكاس كل ذلك على سودان وادى النيل . وإن نتطرق إلى الأحداث السياسية المتعلقة بهذا الأمر والتى جرت فى شمال نيجيريا بعد ظهور المهدى فى السودان إلا بالقدر اليسير وذلك لوفرة البحوث حولها .(٢٦)

يمكن تصنيف الآراء الواردة حول المهدية إلى نمطين : مهدية الشيعة ومهدية أهل السنة . فالشيعة بقسميهم الإمامية والإسماعيلية ينتظرون رجعة إمام بعينه قد اختفى ، وهو محمد ابن الحسن العسكرى (لدى الإمامة) أو اسماعيل بن جعفر (لدى الإسماعيلية) ليعيد إمامة المسلمين إلى آل البيت . أما السنيون فلا يعتقدون فى مبدأ الرجعة هذه ، بل ينتظرون ميلاد إمام جديد ينحدر من ولد فاطمة الزهراء ، وهو مجدد يظهر فى آخر الزمان ليطهر الدين ويعيد للإسلام مجده الذى كان عليه أيام الخلفاء الراشدين .

ومن الواضح أن المهدية من أكبر المسائل الخلافية فى الفكر الإسلامى ، ابتداء من الخلاف حول صحة الأحاديث الواردة حولها مروراً بشخص المهدى نفسه ، وانتهاء بتاريخ وموضع ظهوره . فرغم أن مصادر المهدية التى كانت سائدة فى المغرب العربى وغرب إفريقيا (محى الدين بن العربى ، ابن خلدون ، جلال الدين السيوطى .. الخ) قد تناولت الموضوع على النمط السنى عموماً ، إلا أنها لم تخل من بعض الأفكار الشيعية والصوفية ، وذلك لتأثرها بكتابات عبد الوهاب الشعرانى فى المشرق العربى . ويمكن ملاحظة ذلك فى مؤلفات الشيخ عثمان ابن فودى الثلاثة باللغة العربية : "الخبر الهادى فى أمور الإمام المهدى" و "تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة" ، "تحذير الإخوان من إدعاء المهدية الموعودة آخر الزمان" . (٢٧) ففى الكتاب الأول يعتقد الشيخ عثمان أنه اجتمع بالمهدى معنوياً كما اجتمع به بالإسناد ، وذلك - كما يقول : "لأنى لقيت الشيخ أبا الأمانة جبريل بن عمر وهو لقى شيخه محمد بن سالم الحفناوى ، وهو لقى شيخه البديرى ، وهو لقى شيخه محمد بن قاسم ، وهو لقى شيخه عمه الإمام موسى ، وهو لقى شيخه عبد الوهاب الشعرانى ، وهو لقى شيخه الحسن العراقى ،

وهو لقى شيخه الإمام المهدى" – وقد كان ذلك المهدى هو محمد بن الحسن العسكرى ، كما روى عبد الوهاب الشعرانى عن حكاية رواها له الحسن العراقى .(٢٨) ولا شك أن مثل هذا الاعتقاد يدخل فى إطار مبدأ الرجعة التى يؤمن بها الشيعة . ولكن لم يمض وقت طويل حتى عدل الشيخ عثمان عن هذا الاعتقاد ، إذ ذكر لاحقاً فى كتابه " تحذير الإخوان ... " أنه لم يورد مسألة محمد بن الحسن العسكرى هذه للاعتماد عليها بل ذكرها ليعرّف الناس بما جاء فى كتاب عبد الوهاب الشعرانى(٢٩) ، حيث يقول : "ألا ترى إلى قولى حين أوردت هذا الكلام فى كتابى تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة قلت ولم أورد كلام الحسن العراقى هذا اعتماداً عليه لأننا لا نعتمد إلا على ما جاءنا من الشارع" . ثم أخذ النمط السنى بعد ذلك يتغلب على كتاباته إلى أن تبلور أخيراً فى قصيدتيه باللغة الفولانية : "تناسبوج" (العلاقات) و"بنغارى مهدى" (علو شأن المهدى) ، حيث لا نجد فيهما أثراً للأفكار المشرقية .

برز الشيخ عثمان بحركته التجديدية فى فترة تعتبر فى غاية الأهمية بالنسبة للفكر المهدىّ ، حيث تزامن ظهوره مع حلول الوقت الذى عين فى بعض الكتب (جلال الدين السيوطى مثلاً) (٣٠) لمبدأ التشوق لخروج المهدى ، وهو تمام ثلاثين سنة فى القرن الحادى عشر بعد المائة ، مما دعا كثيراً من الناس فى ذلك الوقت إلى الاعتقاد بأن الشيخ عثمان نفسه هو المهدى المنتظر . وتكمن خطورة مثل هذا الاعتقاد فى أنه يشكل تهديداً صريحاً لمشروع الشيخ عثمان الإصلاحى ، ذلك لأن الشيخ كان يهدف إلى خلق مجتمع فاضل عن طريق نشر العلم وتوسعة دار الإسلام ، وليس إلى تهيئة الناس لقرب قيام الساعة . فلذا كان لزاماً عليه إقناع الناس بعدم صحة ما ذهبوا إليه . وكان هذا أحد أسباب اهتمامه بمسألة المهدية فى كتاباته . فلم يكتف بمؤلفاته المذكورة آنفاً باللغة العربية بل قام بتأليف عدد من القصائد باللغة الفولانية فى شكل منظومات مقفاة يسهل للعامة فهمها وهضمها ونشرها . وقد ركز الشيخ فى هذه القصائد على أمرين : ١/ الوصف الدقيق لشخص المهدى لإقناع الناس بأن هذه الصفات لا تنطبق عليه . ٢/ بطلان تحديد وقت لخروج المهدي .

ففيما يخص الأمر الأول يقول فى قصيدته "بنغارى مهدى (علو شأن المهدى) " :

Biido yam Mahdi feure muudum he wannga
waftu bannginki tinndinooje de Mahdi

من يدعى أننى المهدى سيظهر كذبه عنـدما أوضـح صـفات المهـدى

فى موضع آخر من القصيدة يقول :

Beeta moodon mi farro'on Allah maudo
Accoyee wiigo miin wadaa ai mi Mahdi

أحذركم واستحلفكم بالله العظيم أن تكفوا عن القول بأننى المهدى

وفى كتابه "الخبر المهدى" يؤكد أن المهدى من عترة الرسول (ص) ومن ولد فاطمة ، ويسوق ذلك دليلاً على عدم كونه المهدى المنتظر ، حيث يقول :

"وبهذا تعلم أنى لست بالإمام المهدى كما يظنه جهال أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأن المهدى شريف من أولاد بنته فاطمة رضى الله تعالى عنها قطعاً ، ولا أعرف ذلك فى نسبى ، اللهم إلا أن يكون ذلك معلوماً عند الله تعالى ، فلا يمتنع إذاً ، إذ لا يلزم من الجهل بالشىء عدمه" .

أما عن أمر تحديد وقت ظهور المهدى فيرى الشيخ عثمان أنه لا يعلمه إلا الله عز وجل . واستناداً على منطق الجدل يحكم الشيخ ببطلان ما أورده جلال الدين اليسوطى فى كتابيه "العرف الوردى" و "الكشف عن مجاوزة الأمة الألف" نقلاً عن ابن حماد فى كتابه بعنوان "الفتن" بأن اجتماع الناس على المهدى فى سنة مائتين بعد ألف من الهجرة ، وذلك لأن كل ما ذكر ابن حماد من السنين قد مضى ولم يظهر المهدى . ويستطرد الشيخ قائلاً : "أما نعيم حماد وعبد الرحمن السيوطى فمعذوران فى عدم حكمهما ببطلانه لأن ذلك غيب فى زمانهما ، وأما أنا فقد أدركت ذلك ولم أر ظهور المهدى فحكمت ببطلان ذلك" .(٣١) وفى موضع آخر من نفس الكتاب يوضح الشيخ بأن المنطق لا يقبل تحديد وقت خروج للمهدى لاستحالة ورود ذلك فى الأحاديث إذ أن التاريخ الهجرى قد وضع فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب ، أى بعد وفاة الرسول (ص) . وأخيراً يدعو جماعته فى قصيدتيه المذكورتين إلى التخلى عن تعيين ما لم يعيّنه الرسول (ص) ، وما عليهم سوى الإيمان بالمهدى والاعتقاد بحتمية ظهوره ، كما يلى :

Accoyee feure nyoigo yam ayyinoiki
Waftu on doutanaado Bannginki Mahdi
Fiiji darngal fu Allah tan gartiranden

Accoyee wiigo nde' hitaande nde Mahdi
Accoyee ayyinoigo dum Annabiijo
Ayyinaay dagga nuddinee garki Mahdi

كـفـوا عن الكذب وعن اغـتـيـابى وتحـديد وقت انتظار ظهـور المهـدى
إن أمـور السـاعـة لا يعلمـهـا إلا الله كـفـوا عن القول بأن هذا هو عام المهدى
كـفـوا عن تعـيين مـا لم يعـينه النبى فقط عليكم بالتصديق بحقيقة مجيىء المهدى

مع نفيه لكونه هو المهدى المنتظر فلا ينكر الشيخ عثمان بأنه مهدى هذا الزمان ، جاء ليظهر الدين ويهدى الأمة ويمهد الطريق لمجيىء المهدى المنتظر ، وأنه يحمل الكثير من خصاله وعلاماته يصفها فى قصيدته "تناسبوج" (العلاقات) ، نذكر منها ما يلى :

Ko Mahdi anndiraa tuutaaje judde
Mi yetti Allah dum bo yo coggiraami

Ko de mbinnda bo cappa fu Allah jeidum
Mi yetti Allah kannjum mbinndanaami

يعـرف المهـدى بالرايات الطويلة أحـمـد الله بأن هذا شـأن راياتى
لقد كـتب عليـهـا "أن البيـعـة لله" أحـمـد الله هكذا كـتب فى راياتى

ثم يمضى ليؤكد أخيراً :

Mi laataaki mi Mahdi iinoyaado
Yo dum toggooje maako ni bornoyaami

Mi yankiroyaay mi Mahdi ngu' zamaanu
Mi yetti Allah min bo nde ndokkoraami

Mi doidi iwoonde Mahdi iinoyaado
Yo dum wadi tinndinaami mo anndinaami

أنـا لسـت بـالمـهـدى المنـتـظـر إننى فـقـط بثـيـابه أتدثر
لا أنكر بأننى مـهـدى هذا الزمـان وأحـمـد الله على أن وهبنى هذه النعـمـة
أنا غـمـام سـحـابة المهـدى المنتظر لذلك وصـف لى وشـبـهت به

ولكن يبدو أن هذه الآراء والأفكار نفسها قد طرأ عليها بعض التغييرات فى أخريات أيام الشيخ إذ إنه ما إن فارق الدنيا حتى ظهرت معلومات جديدة فى مسألة المهدية ذات أهمية فائقة بالنسبة لسودان وادى النيل . تمثلت هذه المعلومات فى نبوءات منسوبة إلى الشيخ قيل إنه أسرّها شفاهة إلى أبنائه والمقربين من جماعته . لقد كان ديدن الشيخ ألا يسجل كتابة إلا ما هو مثبت فى القرآن والسنة وكتب السلف الصالح . فمن هذه المعلومات أن المهدى سيظهر ناحية "الشرق" ، أى الشرق من الخلافة السكتية ، فى اتجاه "بحر النيل" . ومنها أن جماعته ستنتقل لملاقاة المهدى هناك ومبايعته ، وقد حثهم على ذلك . وهذا ما نجده صراحة فى خطاب أمير المؤمنين محمد بلو بن الشيخ عثمان (١٨١٧ - ١٨٣٧) لمودبو آدم ، أمير آدماوا (على الحدود الشرقية للخلافة) يحثه فيه على تأمين الطريق المؤدى إلى الشرق : "فإن شيخنا رضى الله تعالى عنه أشار لنا بأن جماعته تنتقل إلى تلك النواحى عند قرب ظهور المهدى هناك يتبعون إليه ويبايعونه إن شاء الله" .(٣٢) ومنها أن أهل الرباط (أو ذريتهم) هم الذين سيبادرون بالهجرة إلى المهدى . وهذا ما تجده فى رسالة أمير المؤمنين أبى بكر العتيق بن الشيخ عثمان (١٨٣٧ - ١٨٤٢) إلى جماعة غواندو (عاصمة القسم الغربى للخلافة) يعلمهم فيها بوصية والده حول انتقال أهل هوسا إلى النيل :

"... ومما أخبرنا به الشيخ هو أن جماعة أهل الرباط هم الذين ينتقلون إلى بحر النيل وإلى بلاد الحجاز ، هم بعينهم أو ذريتهم ، وهم بقية أمراء الشيخ وفيها نوره وبركاته وهم يجتمعون بالإمام المهدى ويبايعونه ومعهم رايات الشيخ ... " .(٣٣)

ومن هذه المعلومات أيضاً أن رايات الشيخ عثمان ستتصل برايات المهدى . ونجد هذه المعلومة فى كتاب محمد بلو بعنوان : "كشف الخفى فى أخبار الإمام المهدى" ، حيث يقول :

"والثالث إعلامكم أيضاً بأن هذه الرايات التى ترون رايات الإمام المهدى رضى الله عنه ولا يزال قوادها على قدح الإمام المهدى رضى الله عنه حتى يظهر ..." .(٣٤)

ومنها تحديد طريق الهجرة إلى المهدى ، كما جاء فى خطاب ابنته مريم إلى أمير كنو رداً على خطاب منه يعبر فيه عن قلقه بشأن الهجرات المتكررة نحو الشرق فى الفترة بين ١٨٤٠ - ١٨٦٠ باسم المهدية التى يزعم قادة هذه الهجرات قرب أوانها .

"... وقد ذكر الشيخ الوالد أنا نهاجر من أرض هوسا ولم يعين ذلك الوقت حتى أنه - رحمه الله - بين لنا طريق الهجرة فقال فى ذلك أول الطريق من بغو إلى مشكم فش ، ثم إلى سارا ، ثم إلى سروا ، ثم إلى اندم ، ثم الى الجبل المسمى كغم ، ثم إلى الجبل المسمى نوزيات ، ثم إلى الجبل المسمى ابوزرا ، ثم إلى رواح ، ثم إلى ريغا ، ثم إلى كاجا ، ثم إلى كتولو ، ثم الى (جبال) النوبة ، ثم إلى تغلا (تغلى) معادن الذهب ، وله تسع وتسعون جبلاً كل اسمه بالفاء ولا اعرف منها إلا ثلاثة ، وهى فازوغل ، وفنكفل وفافغل ، وبعد يومين نسير إلى نيل الأمصار (الانصار ؟) ... إلى آخر ما قال رحمه الله ..." .(٣٥)

يبدو أن المفاهيم المتعلقة بالمهدى والمهدية كانت فى حالة تغير وتجدد دائمين ، وذلك حتى لدى الشيخ عثمان نفسه . فما كتبه عنها فى البداية يختلف عما كتبه مؤخراً ، وحتى هذا يختلف عما أفصح به لأولاده وبناته شفاهة فى أخريات أيامه . وكذلك يبدو كأنما هذه المسألة كانت فى حالة غليان داخلى تمكن الشيخ فى حياته من كبح جماحها واحتوائها مؤقتاً . فما إن فارق الدنيا حتى انفجرت من جديد وبصورة قد تختلف عن - وفى بعض الأحايين قد تتعارض مع - ما خطه الشيخ عثمان حولها. فمثلاً بالرغم أن الشيخ قد أكد فى كل كتاباته وقصائده عدم منطقية تحديد وقت لظهور المهدى ، إلا أن ابنه محمد بلو فى تصنيفه المذكور أعلاه (كشف الخفى فى أخبار الإمام المهدى) يذكر أنه قد كشف عليه فى ليلة السبت عشرين من ربيع الأول (العام غير واضح فى المخطوطة التى بحوزتى) أن المهدى "سيظهر بعد سنتين عياناً للخاصة والعامة إن شاء الله ، أو يظهر من شأنه ما يقوم مقام ظهوره" . (٣٦) وكل الرسائل والوصايا التى تعرضنا إليها أعلاه تشير إلى انفجار هذه المسألة بشدة بعد وفاة الشيخ . وفى الفترة بين وفاة الشيخ ونهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر أصبحت المهدية بهيئتها الجديدة واضحة المعالم تماماً وسط مجتمع الخلافة السكتية : فاقتنع الناس بقرب ظهور المهدى ، وأجمعوا على موضع ظهوره وهو ناحية الشرق فى اتجاه بحر النيل ، وتم رسم خارطة لطريق الهجرة إليه . فالسؤال الآن : ما هو أثر كل ذلك على سودان وادى النيل ؟

٣ - أثر الفكر المهدى فى الخلافة السكتية على سودان وادى النيل :

قبل أن نبيّن مدى تأثر سودان وادى النيل بما كان يجرى فى غرب إفريقيا حول المهدى

والمهدية نرى أن نذكّر القارىء بما أثبتناه فى الباب الأول حول التجانس العقدى فى المنطقتين متمثلاً فى وحدة مصادر الثقافة الإسلامية بصفة عامة فى كليهما ، وفى توافق المصادر التى استقى منها كل من المجتمعين المعلومات حول المهدى . فالأحاديث هى نفسها ، وكذلك الأمر بالنسبة للمراجع (محى الدين بن العربى ، جلال الدين السيوطى ، عبد الوهاب الشعرانى[٣٧] ابن خلدون ... الخ ، وهناك أيضاً توافق تام حول الملامح الرئيسية لشخص المهدى وأوصافه وموضع ظهوره وتاريخ ترقبه (على النمط السنى) إلا أنه ، كما رأينا ، هناك عدم تكافوء فى المؤلفات والدراسات حول الفكر المهدى فى الإقليمين من حيث الكم والعمق . فما تمكنا من حصره حتى الآن من أدبيات هذا الفكر لدى علماء الخلافة السكتية لا يقل عن عشرين عملاً بين كتاب وقصيدة باللغات المحلية ، كما يلى :

- الشيخ عثمان بن فودى : أربعة كتب وثلاث قصائد باللغة الفولانية .
- الشيخ محمد بلو : خمسة كتب ، بالإضافة إلى إشاراته إلى المهدى والمهدية فى بعض قصائده باللغة الفولانية ورسائله إلى الولاة حول هذا الموضوع .
- الشيخ محمد دكو : قصيدة بالهوسا وأخرى بالفولانية .
- الشيخ تان مو إيليلى : قصيدة باللغة الفولانية وأخرى بالعربية .
- الشيخ سعيد بن محمد بلو : كتابان وقصيدة باللغة الفولانية .
- الشيخ أحمد الرفاعى بن الشيخ عثمان : كتاب واحد .
- الشيخ حياتو بن سعيد : قصيدة باللغة الفولانية (ومؤخراً ملحمة بالفولانية فى سيرة الإمام المهدى (محمد أحمد بن عبد الله ، قوامها ٢٣٤ بيتاً) .[٣٨]

هذا إلى جانب وصيتى كل من أمير المؤمنين أبى بكر العتيق والأم مريم بنت الشيخ المشار إليهما آنفاً .

أما فى سودان وادى النيل فلم يذكر المؤرخون من المؤلفات التى سبقت ظهور المهدى فى هذا الإطار سوى ثلاثة[٣٩] : اثنان للشيخ إسماعيل الولى بن عبد الله[٤٠] ، وهما "اللمع البادى فى كشف الختم والإمام الهادى" و "جامع الكلم وأجيز النظم فى معرفة سيدى الإمام الختم" . والمؤلف الثالث للشيخ إبراهيم الأمين بن على المشهور بالكباشى وهو بعنوان "المهدى المنتظر" .

هذا بالإضافة إلى إشارات الشيخ الطيب البشير إلى هذا الموضوع فى بعض منظوماته .

فإذا نظرنا إلى الأوضاع الفكرية والعقائدية فى سودان وادى النيل ومنطقة الخلافة السكتية فى منتصف القرن التاسع عشر نجد أن بها من القواسم المشتركة ما يسمح بتنقل المعتقدات الدينية الخاصة وبسهولة تقبلها واستيعابها والتفاعل معها فى كلا المجتمعين ، لاسيما وأنها تنبع من مصادر مشتركة وتنتمى إلى بيت واحد . وفى الواقع ليس بين أيدينا ما يشير إلى وجود روابط مباشرة بين الإقليمين خلال تلك الفترة . إلا أن تحسن طرق الحج عبر السودان أتاح الفرص للتبادل الفكرى والعقدى ، لاسيما أن نسبة التخلف فى طريق العودة من الحج كانت كبيرة نسبياً ، خاصة وسط العلماء الذين كثيراً ما استوقفوا وشجعوا على الاستقرار للعمل فى سلك التعليم . لذلك يرى محمد أحمد الحاج أن "كثيراً من الكتابات والافكار حول المهدية قد وجدت طريقها (من غرب إفريقيا) إلى بلاد السودان الشرقى وشاركت فى خلق وتعبئة الجو الفكرى الذى أدى إلى قيام الحركة المهدية" .(٤١)

لعل أهم نتائج النشاط المهدىّ فى الخلافة السكتية ذات الأثر المباشر على سودان وادى النيل هى سلسلة الهجرات الفردية والجماعية نحو الشرق بحثاً عن المهدى وتشوقاً للقائه ، والتى بدأت قبل منتصف القرن الماضى وانتهت بهجرة أمير المؤمنين الطاهر الأول سنة ١٩٠٣م . (٤٢) ومن أمثلة هذه الهجرات هجرة إبراهيم شريف الدين أبو شعر الملقب بـ "مالم دبابا" الذى تحرك من بلاد فوتافى أقصى الغرب ماراً ببلاد هوسا وبرنو حيث انضم إليه جمع غفير من الفولانيين والهوسا والبرنو وعرب الشوا . وفى الطريق دخل فى مواجهة مع سلطان باقرمى قتل على أثرها . إلا أن نفراً من جماعته واصلوا الهجرة ، وبعد تأدية فريضة الحج رجع بعضهم واستقر على ضفاف النيل الأبيض (أو الأزرق) ، ربما فى انتظار ظهور المهدى . (٤٣) ومنها هجرة الشيخ حياتو بن سعيد ، حفيد الشيخ عثمان ، فى عام ١٨٧٨ من سكتو نحو الشرق ، حيث أسس رباطاً له فى بلدة (على الحدود الكمرونية – التشادية – النيجيرية) فى انتظار ظهور المهدى لنيل شرف المبادرة فى مبايعته . وللشيخ حياتو وعلاقته بالمهدية تاريخ حافل سبق أن تناوله العديد من الذين أرخو لهذا الموضوع(٤٤) ، لذا فلن نتعرض له بالتفصيل فى هذا الموضع . ويكفى هنا أن نشير إلى أن الشيخ حياتو صار فيما بعد عاملاً للمهدى بغرب إفريقيا ، ورغم أنه لم يوفق إلى تنفيذ الهجرة إلى أم درمان إلا أن جماعته

شاركوا بفعالية فى دعم الحركة المهدية فى كل من السودان وشمال نيجيريا .

لقد كان للمتشوقة من جماعة الخلافة السكتية حضور مبكر فى الحركة المهدية وإسهام مقدر فى إرساء قواعدها . ونعنى بـ "المتشوقة" هؤلاء النفر الذين هاجروا من تلك النواحى - أو أبناءهم أو احفادهم - بحثاً عن المهدى وتشوقاً للقائه ، وذلك قبل ظهوره .(٤٥) فكل هجرة ذات صبغة مهدية لا تخلو ممن يعبر إلى الأراضى المقدسة ثم يرجع ليستقر فى مكان ما داخل السودان فى انتظار ذلك الحدث العظيم - أى ظهور المهدى . فهؤلاء لم يكونوا فى حاجة إلى إقناع بالمهدية أو تعلم لمبادئها لأنهم كانوا على وعى تام بها ، بل كانوا فى بحث دائم عنها وعن قائدها وفى شوق ولهفة للقائه . ورغم أن التاريخ لم يوف هؤلاء حقهم إلا أن أهميتهم فى الحركة المهدية تظهر من خلال الأدوار القيادية التى لعبوها فى إدارة دفة حكم دولة المهدية . بالطبع لا يسع المجال هنا لذكر تفاصيل هذه الأدوار ، ويكفى أن نشير فى هذا الموضع إلى أن السيدة عائشة بنت إدريس الفلاتى (الملقبة بأم المؤمنين) كانت الوحيدة من بين زوجات الإمام المهدى التى ورد ذكرها فى التاريخ بوصفها امرأة ذات نشاط سياسى وفكرى .(٤٦) وأن ترسانة السلاح كانت تحت إدارة الفكى الأمين الفلاتى وأن المهدية كانت تعتمد فى إنتاج ملح البارود على الفلاتة الذين كانوا يحتكرون هذه الصناعة(٤٧) ، وأن الشيخ بابكر حامد أبو الفيض قد عمل لفترة أميناً لبيت مال المهدية ، وأن الفكى موسى الدارى كان من الشخصيات القيادية المؤثرة فى السلطة ، إذ بمبايعته للخليفة عبد الله حسم الخلاف الذى قام بين الأشراف وأهل الغرب حول من سيخلف المهدى ، وبالتالى جنب الحركة نكسة كانت ستحل بها لا محالة . والآن تنتشر مئات القرى للأنصار من أبناء أو أحفاد "المتشوقة" على النيلين الأزرق والأبيض وفى كردفان ودارفور .

الحلقة الأخيرة فى سلسلة الهجرات المهدية من الخلافة السكتية إلى السودان كانت هجرة أمير المؤمنين الطاهر الأول ، حفيد الشيخ عثمان ، فى عام ١٩٠٣ ، وتوابعها . لقد ذكرنا أن الإمام المهدى قام بتعيين الشيخ حياتو بن سعيد ، حفيد الشيخ عثمان ، عاملاً له على أهله فى الخلافة السكتية بصفة خاصة وغرب إفريقيا بصفة عامة . إلا أن هذا التعيين لم يقنع سكتو التى كانت فى نزاع مع الشيخ حياتو ، وبالتالى لم تجد مهدية محمد أحمد بن عبد الله قبولاً لديهم ، واعتبروه مجدداً (مودبو جزيرة أى عالم الجزيرة أبا) ، وليس بالمهدى المنتظر . فلذا

اقتصر شيوع دعوته على الإمارات الشرقية للخلافة حيث كان يقيم الشيخ حياتو . فعندما سقطت سكتو فى أيدى الغزاة النصارى فى مارس ١٩٠٣ خرج أمير المؤمنين الطاهر الأول مهاجراً بجماعته نحو الشرق بنية تجميع قواته والعودة لاسترداد دار الإسلام من النصارى أو المواصلة إلى الأراضى المقدسة وانتظار ظهور المهدى . وتمكن الطاهر من حشد قواته داخل حصن برمى على الأطراف الشرقية للخلافة ، وكانت برمى معقلاً لأنصار الإمام المهدى من جماعة الشيخ حياتو وملازمه جبريل قاينى . فبعد المعركة الفاصلة فى يوليو ١٩٠٣ واستشهاد الطاهر واصل ابنه محمد بلو مى ورنو الهجرة أيضاً بقصد لقاء المهدى بالأراضى المقدسة ، ولكن انتهى به الأمر فى قرية الشيخ طلحة على الضفة الشرقية للنيل الأزرق على بعد ١٥ كيلو متراً جنوبى سنار ، ومنها عبر المهاجرون إلى الضفة الغربية وأسسوا مدينة مايرنو الحالية . وقد شهدت العقود الأولى للقرن العشرين عشرات الهجرات الفردية والجماعية للحاق بركب مى ورنو والوصول معه إلى المهدى . والآن هناك ما يربو على مائة القرية تنتشر فى كل أواسط السودان ، ولا سيما على ضفتى النيل الأزرق من سنار جنوب حتى الحدود الاثيوبية قوامها تلك الهجرات المتأخرة .(٤٨)

فهكذا نرى أن حركة الفكر المهدى التى انتعشت مع الشيخ عثمان بن فودى وأبنائه وتلامذته كانت ذات أثر مباشر على سودان وادى النيل ، ليس فقط على المستوى الفكرى والعقائدى ، بل الاجتماعى أيضاً ، حيث انتهت بتغذية مجتمع أواسط السودان بعناصر سكانية جديدة حملت نفس أفكاره وتفاعلت معه وانصهرت فيه .

٤ – الفكر الصوفى لدى الشيخ عثمان وأثره فى سودان وادى النيل :

لقد ذكرنا أن الرافد الحجازى متمثلاً فى شخص الشيخ تاج الدين البهارى كان وراء ازدهار وسيادة التصوف على الساحة الدينية فى سودان السلطنة الزرقاء ، وبالأخص حركة التصوف الباطنى ، الذى عده حسن مكى مسئولاً "عن بذر التشوهات والترهات التى لحقت بالفكر الصوفى فى السودان والتى عطلت ملكة العقل والتفكير عند السودانيين" .(٤٩) ولكن باستثناء هذه "الترهات" فإن رجال الطرق الصوفية ، بما لهم من نفوذ فى المجتمع وارتباط بالدوائر الحاكمة ، قد لعبوا دوراً مقدراً فى الاستقرار الاجتماعى والروحى فى ذلك العصر .

وكذلك رأينا الغياب التام للمؤثرات الحجازية المباشرة فى مجتمع الخلافة السكتية . ولكن رغم ذلك فإن مجتمع بلاد هوسا لم يعرف الإسلام منذ باكورة ظهوره إلا مصحوباً بنوع من التصوف . ويعتقد هسكت Hiskett أن الصوفية دخلت بلاد هوسا مع الداعية الإسلامى الشيخ محمد بن عبد الكريم التلمسانى الذى ورد ذكره آنفاً ، وذلك فى أواخر القرن السادس عشر مع انتشار الوعى الإسلامى القادم من الاندلس عبر بلاد المغرب ومراكز الإشعاع الإسلامى مثل تمبكتو وجنى .(٥٠) وبحلول القرن السابع عشر اتخذت الصوفية شكلاً أكثر وضوحاً حيث ظهرت طرق بعينها كالقادرية . وتنعكس النزعات الصوفية لدى الرعيل الأول من علماء بلاد هوسا فى اهتمامهم الشديد بالقصيدة العشرينية للفزارى ، حيث قام بشرحها كل من العالم الكتسناوى دان مارينا (ت ١٦٥٥) فى كتاب له بعنوان "الوسائل المتقبلة" والعالم الكتسناوى دان مسنا فى كتابه "النفحة العنبرية فى شرح العشرينية" .(٥١) وقد ظلت "العشرينية" للفزارى و "البردة" للبوصيرى ، و "دلائل الخيرات" لأبى عبد الله محمد بن سليمان ابن أبى بكر الجزولى مواد أساسية لطلاب العلم فى بلاد هوسا (والفولانى والهوسا فى السودان" (٥٢) إلى عهد قريب .

ويذكر المؤرخون للشيخ عثمان بن فودى بأنه درس كتاب "الفتوحات المكية" لمحى الدين ابن العربى ، وأعمال الشاعر المتصوف المغربى أبى على الحسن بن مسعود اليوسى .(٥٣) وقد حفظ منذ صغره القصيدة العشرينية وكذلك مؤلفات الغزالى ، وهى أهم مصادر التصوف فى المغرب العربى . ويعتقد أن كتابه "إحياء السنة" كان صدى لكتاب الغزالى "إحياء علوم الدين" .(٥٤) ومنذ أن كان فى العشرينات من عمره أصبح فى وضع يؤهله لتدريس أسرار التصوف لأخيه عبد الله .

للشيخ عثمان عدة تواليف وقصائد باللغتين العربية والفولانية فى التصوف ، أهم هذه التواليف كتاباه "السلاسل الذهبية للسادة الصوفية" و "لما بلغت الثامنة والثلاثين" . ففى الأول يوضح سلسلة سنده فى تلقين كلمة الشهادة فى كل من الطريقة القادرية والخلوتية والمحمودية . ولابنه محمد بلو كذلك أعمال متنوعة فى التصوف (كتب ، قصائد ، أوراد ، توسلات .. الخ) . ورغم أن شقيقه عبد الله لم يكتب شيئاً يذكر فى هذا المجال الا أن إشارات

هنا وهناك تؤكد أن به قدراً من التصوف . وثلاثتهم استقروا أخيراً على الطريقة القادرية التى انتظموا فى سلسلتها بواسطة الشيخ جبريل بن عمر الطارقى الذى ورد ذكره آنفاً . وبالتالى أصبحت القادرية الطريقة السائدة لدى جماعة الخلافة السكتية بصورة عامة .

وفى الكتاب الثانى ، أى "لما بلغت ..." والذى يعتقد أنه كتب قبيل إعلان الجهاد ، يحكى الشيخ عدداً من الرؤى الخاصة بالحضرة ، والتى التقى فيها بالرسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخ عبد القادر الجيلانى . وقد قام فيها الأخير بتقليده سيف النصر ، وكان هذا إيذاناً له بإعلان الجهاد . فلذا اعتبر هسكت القادرية القوى المحركة لحركة الشيخ .(٥٥) (كما كانت التجانية القوى المحركة لحركة الحاج عمر الفوتى فى سيغو ١٨٣٨) . وقد كانت قصيدته القادرية التى ألفها باللغة الفولانية وترجمها أخوه عبد الله إلى العربية وابنته أسماء إلى الهوسا ، كانت بمثابة الشعار لجماعته ، قلَّ منهم من لم يكن يحفظها بإحدى هذه اللغات ، حيث تقول بعض أبياتها (بالترجمة العربية) :

يا رب عـــالم باطن كـــالظاهر	أجب الذى يدعـو بعـبـد القـادر
بركـات أحـمـد فى بلاد الله قـد	عـمت وجـمت عند عـبـد القـادر
يا رب يا مـتـفـضـلاً لعـبـاده	صلنى بفـضلك عند عـبـد القـادر
إن المسىء لدى الأكـابر يلتـجى	فلجـأت عند الشـيخ عـبـد القـادر
إن كنت لم أحسن فشيخى محسن	إنى لمنتـسب لعـبـد القـادر

لقد اقتضت أهداف ومرامى السيخ عثمان فى حركته التجديدية أن يظهر بمظهر المتصوف المعتدل وأن يتعامل مع التصوف باعتبار أن ذلك أمر شخصى يخصه هو دون العامة من جماعته . وكان ينفى باستمرار عن نفسه الكرامات ويسم من يدعيها له بالجهل . فيبدو أنه كان يخشى أن تنشغل جماعته بهذه الأمور وتنصرف عن علوم الفرائض التى هم أكثر حاجة إليها من غيرها . وكذلك نفى عن نفسه القطبانية (ولا أعرف فيما إذا كان هذا من باب التواضع أم كان يعنى ما يقول) . وقد كان رأيه فى "كشف الأولياء" مخالفاً لما عهدناه فى سودان السلطنة الزرقاء . ففى رأيه :

"إن كشف الأولياء لا يتعدى كتاب نبيهم وسنته أبداً . وبتقدير أنه (أى الولى) يأتينا بعلم

عن طريق كشفه لا يجوز لنا العمل به إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما" .(٥٦)

إلا أنه بعد وفاته عاد الناس مرة ثانية يتحدثون عن كراماته . وقد قام وزيره صديقه غدادو ابن ليما بتأليف كتاب بعنوان "روض الجنان فى ذكر بعض مناقب الشيخ عثمان" أورد فيه عدداً من الكرامات التى شهدها له ، والآن نجد صفة "القطب" مثبتة على قبره فى سكتو .

خلاصة الأمر أن القادرية كانت تمثل الطريقة الرئيسية لجماعة الشيخ عثمان والخلافة السكتية بصفة عامة . ولكن من الصعوبة بمكان أن نتحدث عن علاقات مباشرة بين جماعة القادرية فى غرب إفريقيا ومريدى هذه الطريقة فى سودان وادى النيل خلال القرن الماضى . إلا أن هجرة الطاهر - مى ورنو من سكتو إبان دخول الاستعمار إلى نيجيريا - كما أسلفنا - قد أتت بمئات الآلاف من جماعة القادرية إلى السودان ، مما رفع نسبة مريديها بالمقارنة مع الطرق الصوفية الأخرى . ومؤخراً نشأت صلة وثيقة بين جماعة القادرية فى ما يرنو والقادرية فى طيبة الشيخ عبد الباقى فى الجزيرة (٢٠ كيلو متراً شمال غرب ود مدنى) ، متمثلة فى تبادل الزيارات فى المناسبات الدينية كالعيدين والمولد النبوى الشريف وشهر رمضان ، حيث تقام ليالى النوبة والذكر .

وقبل عدة سنوات كانت هناك مساع لخلق صلة بين جماعة المكاشفية فى قرية الشكينيبة وقيادة السجادة القادرية فى سكتو . وقد قام فى إطار هذه المساعى شخص سودانى يدعى عبد العزيز أحمد عبد العزيز بعدة رحلات ماكوكية بين الشكينيبة وسكتو ، وفى اثنتين من هذه الرحلات اصطحب معه شخصين من أحفاد الشيخ عثمان بن فودى بما يرنو (هما السلطان أبو بكر محمد طاهر وابن عمه عثمان باسمبو) ، وما زالت هذه المساعى جارية .

لعل أقوى الصلات بين القادرية المتصلة بالخلافة السكتية وبين رجال الطرق الصوفية فى السودان ما يقوم اليوم من وشائج وروابط بين جماعة الشيخ ناصر كبرا ، شيخ السجادة القادرية فى كنو من جانب ، وبين مريدى الطريقة السمانية من جماعة آل الشيخ قريب الله فى الخرطوم ، من جانب آخر . وتتمثل مظاهر قوة الصلة بين هاتين الجماعتين فى الآونة الأخيرة فى تكرار الزيارات المتبادلة بينهما (أكثر من مرة فى العام) والحفاوة والتقدير اللذين تجدهما كل مجموعة لدى الأخرى .(٥٧)

خاتمـــة :

لقد حاولت فى هذه الورقة تتبع الآثار العقائدية للشيخ عثمان بن فودى على سودان وادى النيل من خلال الفكر المهدوى والصوفى . وتمهيداً لذلك حاولت إثبات أن دار الإسلام فى الخلافة السكتية وسودان وادى النيل يشكلان منطقة تجانس فكرى وعقدى ، وذلك لكثرة القواسم المشتركة بينهما فى هذا المجال . وقد أتاح هذا الوضع فرصة طيبة لكى يتكامل الفكر المهدى الذى تبلور فى كتابات الشيخ عثمان وتلامذته وتشبع به جماعته ليتكامل مع الحركة المهدية التى قامت فى السودان . وقد انعكس هذا التكامل فى حجم إسهام جماعة الشيخ عثمان فى تأسيس دولة المهدية وإرساء قواعدها . وبازدياد هجرات جماعة الخلافة السكتية إلى السودان واستقرارهم فيه وانصهارهم فى مجتمعه تصبح أفكار الشيخ وتعاليمه جزءاً من الإرث الثقافى الإسلامى للمجتمع السودانى . وأخيراً رأينا أن لقاء جديداً قد بدأ بين رجال الطرق الصوفية فى المنطقتين مما يعنى استمرار الروابط التاريخية بينهما وتجدد حيويتها . وكل هذا يشير إلى وحدة المشاعر الدينية والتاريخية بين المنطقتين ، الأمر الذى يرشحهما لوحدة أكبر تشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

هوامش

١ - حول تنقل العلماء والطلبة بين بلاد السودان الأوسط والشرقى انظر :

Y. F. Hassan (1993) : {Some aspects of the relationships between Central and Eastern Bilad al-Sudan", Dirasat Ifriqiyya 10.

٢ - هذا التسلسل ليس تاريخياً بل لحدما جغرافياً .

٣ - يوسف فضل حسن فى مقدمته لكتاب محمد النور بن ضيف الله (١٩٨٥) : كتاب الطبقات ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم (الطبعة الثالثة) ، ص ٢ .

٤ - A. Mc - Michael (1912) : A History of the Arabs in the Sudan, Cambridge p. 35.

٥ - يذكر صاحب الطبقات أن الشيخ محمد الهميم - تلميذ الشيخ تاج الدين البهارى - قد جمع بين الاختين لمرتين ، منهن ابنتا تاج الدين البهارى نفسه (ص ٣١٩ - ٣٢٠) . انظر أيضاً حسن مكى (ب - ت) : الثقافة السنارية : المغزى والمضمون ، مركز البحوث والترجمة ، جامعة إفريقيا العالمية ، إصدارة رقم (١٥) ، ص ٤٦ .

٦ - انظر تفاصيل الخلاف بين حمد النحلان ود الترابى الذى ختم مختصر الخليل عشر مرات وبين أخيه المتصوف ، وغلبة الأخير على الأول مما دعاه إلى التخلى عن الخليل والعودة إلى الفكر الباطنى ، نفس المرجع ص ٥٥ ومحمد النور بن ضيف الله ، المرجع السابق ، ص ٦٠ .

٧ - حسن مكى ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

٨ - انظر يوسف فضل حسن فى مقدمته لكتاب محمد النور بن ضيف الله ، المرجع السابق ، ص ٤ .

٩ - نفس المرجع ، ص ٣ - ٤ .

١٠ - قارن طبيعة هذه العلوم مع ما أورده هسكت حول العالم الكنوى عبد الله سكه (منتصف القرن السابع عشر) الذى ألف منظومة بعنوان "العطية للمعطى" بين فيها الأوجه المختلفة للعبادات ، "حيث تعتبر هذه المنظومة بداية للتأليف المحلى بالنظم ومثالاً انتشر على شاكلته هذا الفن فى كل المناطق" ترجمة من الانجليـزية ، انظر : M. Hiskett (1975): History of Hausa Islamic Verse, SOAS, Uni. of London, p. 15.

١١ - حسن مكى ، المرجع السابق ، ص ٥٧ .

١٢ - يعتبر الحرم المدنى أرضاً محايدة يجد فيها كل العلماء المسلمين مكاناً للترويج لأفكارهم . وتكمن قيمة العالم هناك فى درجة علمه ولس فى عرقه أو موطنه الأصلى . مثلاً ظل الفقيه الفا هاشم حفيد الحاج عمر الفوتى (الطريقة التجانية) مفتياً للمدينة المنورة لفترة طويلة من الزمن .

١٣ - حسن مكى ، المرجع السابق ، ص ٥١ .

١٤ - نفس المرجع ، ص ٥٠ .

١٥ - محمد النور بن ضيف الله ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

١٦ - انظر محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودى (١٩٦٤) : انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ، القاهرة ، ص ٤٠ .

١٧ - A. R. Palmer (1967): Sudanese Memories, vol 11, Frank Cass & Co. Ltd., London, p. 93.

١٨ - Ibid. p. 104 - 5.

١٩ - Ibid. p. 111.

٢٠ - فى مقدمة :حوليات كنو" يذكر بالمر أن المغيلى اتخذ سبيله إلى قاو حاضرة امبراطورية سنغاى ، وذلك بدعوة من امبراطورها أسكيا محمد حيث استفتاه فى أمر المخلطين الذين يدعون الإسلام ويخلطون أعمالهم بأعمال الكفر ، وبعد أن كتب له الفتاوى المشهورة فى هذا الأمر ، واصل رحلته إلى توات ثم تمنتيت (فى مراكش) حيث توفى بها عام ١٥٠٤ . أنظر : Palmer, op. cit. pp. 93 - 94

٢١ - نفس المرجع ، ص ١١١ .

٢٢ - انظر هامش رقم (١٠)

٢٣ - محمد بلو بن عثمان بن فودى ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

٢٤ - نفس المرجع ، ص ٥٤ .

٢٥ - يوسف فضل حسن فى مقدمته لكتاب الطبقات ، المرجع السابق ، ص ٦ .

٢٦ - لتفاصيل هذه الأحداث انظر مثلاً :

- S. Biobaku & M.A. Alhaj (1964): "The Sudanese Mahdiyya and the Niger-Chad Region", in Islam in Tropical Africa, ed. by A. M. Lewis, Oxford Univ. Press, Oxford.

- M. A. Alhaj (1973): The Mahdist Movement in Northern Nigeria (Ph. D. dissertation) A.B.U. zaria (Unpublished).

- M.A. Al-Haj (1985)": Hayatu B. Said: A revolutionary Mahdist in the Western Sudan" in Sudan in Africa, ed. by U. F. Hassan, KUP, Khartoum (2nd edition).

- الأمين أبو منقا (١٩٩١) : "العلاقات السودانية - النيجيرية فى إطار المهدية" ، دراسات إفريقية ، العدد الثامن .

٢٧ - كلها مخطوطات بتصوير محلى لم تحقق بعد .

٢٨ - اقرأ تفاصيل هذه الرواية فى كتاب "الخبر الهادى .." الشيخ عثمان أو فى الأمين أبو منقة ، المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

٢٩ - عبد الوهاب الشعرانى (١٩٥٤) : لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، مصطفى البابى الحلبى ، مصر .

٣٠ - جلال الدين السيوطى ، العرف الوردى فى أخبار المهدى (لم نجد له بيانات) .

٣١ - عثمان بن فودى ، تنبيه الأمة ... ، مخطوط بتصوير محلى .

٣٢ - نقلاً عن عمر النقر (١٩٧٠) : "الجذور العقائدية والتاريخية لهجرة مى ورنو إلى السودان" ، مجلة الدراسات السودانية ، العدد الأول المجلد الثانى ، ص ١٠٨ .

٣٣ - مخطوطة بمركز الدراسات الإسلامية ، جامعة عثمان دان فوديو (سكتو) ، يفتنى الأمين أبو منقة نسخة منها . لعل هذا هو الذى دفع الشيخ حياتو بن سعيد - حفيد الشيخ - إلى الهجرة نحو الشرق وتأسيس رباط له ببلدة (على الحدود الكمرونية - النيجيرية - التشادية) وانتظار ظهور المهدى .

٣٤ - مخطوطة بمركز الدراسات الإسلامية جامعة عثمان دان فوديو (سكتو) يفتنى الأمين أبو منقة نسخة منها .

٣٥ - انظر هامش (٣٤) أعلاه .

٣٦ - يقال إنه فى ذلك العام ظهر نجم مذهب .

٣٧ - يذكر يوسف فضل حسن فى مقدمته لكتاب الطبقات (ص ٩) أن من كتب التصوف التى انتشرت فى السودان ونالت اهتمام الدارسين الطبقات الكبرى المسماة "لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار" لعبد الوهاب الشعرانى .

٣٨ - هذا ما وقفت عليه بنفسى ولكن الحاج أبو بكر سعيد بن حياتو أكد لى أن هناك الكثير فى هذا المجال مما لم تتح لى الفرصة للاطلاع عليه . حول عناوين الأعمال المذكورة انظر الملحقات فى نهاية هذا البحث .

٣٩ - انظر محمد إبراهيم أبوسليم (١٩٨٩) : الحركة الفكرية فى المهدية ، مطبعة جامعة الخرطوم ، الخرطوم (الطبعة الثالثة) ، ص ١٩ .

٤٠ - تؤكد المصادر الشفاهية وجود شخصيات مؤثرة فى جماعته ممن تتصل جذورهم بغرب إفريقيا .

٤١ - M. A. Alhaj (1973). op. cit. p. 70

٤٢ - جماعة الطاهر كانت تتحدث عن مهدى آخر بخلاف الإمام محمد أحمد المهدى السودانى - لتفاصيل هذه الهجرة انظر الأمين أبو منقة ، المرجع السابق .

٤٣ - انظر :

- Alhaji Garba A. Sa'idu (1980): "The Effect of Mahdism in West Africa" a paper presented to the International Seminar on Muslim Movements, B. U. Kano.

٤٤ - انظر هامش (٢٦) .

٤٥ - لمزيد من التفاصيل حول إسهامات المتشوقة انظر الأمين أبو منقة ، المرجع السابق ، ص ٦٤ - ٦٥ .

٤٦ - انظر :

- G.L. Lethem (1927): "Report on a journey from Borno, Nigeria, to the Anglo-Egyptian Sudan, Jeddah and Cairo", History of Islamic Political Propaganda in Nigeria, ed. by G.L.F Tomlinson and G.L. Lethem, London, Waterloo & Sons Ltd., p. 41.

٤٧ - انظر مذكرات عبد الله شارل نوفيلد (المانى فى خدمة المهدية) ترجمة وتقديم محمد المكى إبراهيم ، جريدة "السودان" ، العدد ٤٤ بتاريخ ١٩٩٥/٩/٤م ، ص ٤ .

٤٨ - لمزيد من التفاصيل حول هجرة الطاهر - مى ورنو انظر عمر النقر ، المرجع السابق والأمين أبو منقة ، المرجع السابق .

٤٩ - حسن مكى ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

٥٠ - M. Hiskett (1973) : Th Sword of Truth : The Life and Times of the Shehu Usuman Dan Fodio. Oxford Uni. Press, Oxford et al, pp. 59 - 60.

٥١ - انظر محمد بلو بن الشيخ عثمان ، إنفاق الميسور ، ص ٥٢ .

٥٢ - يلقب البروفسور إبراهيم أحمد مكوشى ، حالياً بجامعة عثمان دان فوديو "سكتو" يلقب فى مايرنو بـ "مى دلائل" ، يقال إن والدته - عليها رحمة الله - (حفيدة الشيخ عثمان) كانت حامل به أثناء دراستها لكتاب "دلائل الخيرات" .

٥٣ - M. Hiskett (1973), op. cit. p. 61

٥٤ - Ibid. p. 61

٥٥ - Ibid. p. 69

٥٦ - عثمان بن فودى ، سراج الإخوان ، مخطوطة بالتصوير المحلى ، ص ١٥٢ .

٥٧ - قبل عامين تصادف سفرى إلى كنو مع زيارة وفد الطريقة السمانية برئاسة الدكتور الطيب الفاتح قريب الله لجماعة الشيخ ناصر كبرا فى كنو . وقد فوجئت بالحشد الذى وجدته فى استقبال الوفد فى المطار .

ملحق

أدبيات الفكر المهدى فى الخلافة السكتية

الشيخ عثمان بن فودى :

١ – الخبر الهادى إلى أمور الإمام المهدى .

٢ – تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة .

٣ – تحذير الإخوان من ادعاء المهدية الموعودة آخر الزمان .

٤ – نصيحة أهل الزمان .

٥ – على شان المهدى Panga'are Mahdi (قصيدة بالفولانية) .

٦ – العلاقات Tanaasabuuji (قصيدة بالفولانية) .

٧ – قصيدة المهديين Yimre Mahdinkoobe (بالفولانية) .

الشيخ محمد بلو بن الشيخ عثمان :

٨ – القول المختصر فى أخبار المهدى المنتظر .

٩ – مفتاح السداد .

١٠ – علم الجفر .

١١ – كشف الخفى فى أخبار الإمام المهدى .

الشيخ أبو بكر العتيق بن الشيخ عثمان :

١٢ – وصية لأهل غواندو (رسالة)

الشيخ أحمد الرفاعى بن الشيخ عثمان :

١٣ – علامات خروج المهدى .

الشيخ سعيد بن محمد بلو :

١٤ – كأس المحبة إلى أهل المودة .

١٥ – صحيح الخبر فى أمر المهدى المنتظر .

١٦ – قصيدة الهجرة Yimre perol (بالفولانية) .

الأم مريم بنت الشيخ عثمان :

١٧ – طريق الهجرة إلى المهدى (رسالة)

الشيخ محمد دكو :

١٨ – قصيدة الزمن Wakar Zamanu (بالهوسا) .

١٩ – قصيدة المهدى Yimre Mahdi (بالفولانية) .

الشيخ تان موايليلى :

٢٠ – قصيدة السير Yimre Siyar (بالفولانية) .

٢١ – سر التوبة Sirru al-Tawbati (قصيدة بالفولانية) .

الشيخ حياتو بن سعيد :

٢٢ – سيرة الإمام المهدى (قصيدة بالفولانية – ٢٣٤ بيتاً) .

٢٣ – ادعوك يا غالب Mi noddii ma Jaliido (قصيدة بالفولانية) .

خريطة توضح منطقة انتشار الثقافة الإسلامية ذات الطابع الإفريقي